القصص

صور من هوميروس

١٣ - حروب طَرْوَادَة

مقتل بتروكلوس

للأستاذ دريني خشبة

قتل ساربيدون ملك ليسيا وقائد فرسانها ، وأشجع مقاتل في جيش طروادة بعد هكتور ؛ ووقف بتروكلوس على جثته يصليها سخرية وهزوا ، ناسياً أنه إنما يهزأ بابن زيوس سيد الآلهة ، من آثر زوجاته اليه ، أوروبا الجميلة الفتان ، التي وقفت من ذروة جبل إيدا تنظر إلى المعركة الحمراء ، وتشهد مقتل ابنها . . . وتبكي ! !

وتثور ثائرة الأم الثاعسة ، وتهيب بالآله الأكبر أن يحمي جثة ولدها ، بعد إذ عجز عن حمايته حياً ، وبعد إذ عجز عن دفع ما قضت به ربات القدر

وينظر زيوس فيرى إلى بتروكلوس واطئاً بقدمه صدر ساربيدون ، عادة الجاهلية ، ويسمع إليه يقذفه بأشنع عبارات التهكم والاستهزاء ، غير راث لهذه الروح التي تفيض ، أو معتبر جلال الموت الذي تخشع أمامه القلوب ؛ فيثور الآله ، ويحنق على بتروكلوس وجند بتروكلوس ، ويأمر ولده من لا تونا . . . أبوالو العظيم . . . فينطلق من فوره إلى معمعان الحرب ، ويرسل إلهي النوم والموت فيحميان جثمان القتيل ، ويدفعان عنه سباع الميرميدون التي تكاثرت حوله تريد لو تسبي سلاحه ، وتستنقذ دروعه

أما الجثة ، فيحملها الآلهان الكريمان إلى ليسيا ؛ وثمة ، يخلطان بها حنوط الخلود ، ويلفانها في ثوب سماوي من ثياب الرحمة ، ويجمعان حولها عرائس الفنون تبكيها وتنشد لها أوجع ألحانها ، وأشجى ما تكن موسيقاها

ويبدو لبتروكلوس أن طروادة ، بعد ساربيدون ، لقمة سائغة ، وغنيمة باردة ، فيهتف بالأغريق مرة ، وبالميرميدون مرة أخرى ، أن يقاحموا نحو أسوارها ، وأن ينتهزوها فرصة تفتح عليهم فيها المدينة الخالدة

ولا تدري كيف يستيقظ الطرواديون وأحلافهم من سكرة الروع التي غشيتهم فينكشف لهم أن البطل الذي قتل ساربيدون وعشرات غيره من صناديدهم ، ليس هو أخيل العظيم ، وإن يكن يحمل خوذته ، ويقنع في دروعه ، ويذرع الساحة بعربته . . فتهدأ أعصابهم ، ويثبت جأشهم ، ويأخذون في مناهضة الميرميدون والأغريق جميعاً

ولكن بتروكلوس يهجم غير هياب ، ويجندل من حوله الأبطال المناويد ، ويقود جنده إلى البوابة الكبرى حيث وقف هكتور ينظر إلى المعركة بعينين مشدوهتين ، ونفس مذهوب بها ، وقلب حيران متصدع . . .

ووقفت الآلهة دون البوابة تحمي طروادة الخالدة . . .

ذلك أن بتروكلوس كان كلما بلغ ثمة . . . وجنده وجنده ينسحبون إلى وراء بقوة خافية لا يدرون سرها ، ولا يعرفون من أين تأتيهم فتتخطفهم ، وتردي جحافلهم . . . وهي على قاب قوسين من داخل المدينة . . . أو أدنى !

وفي الهجمة الثالثة ، سمع بتروكلوس إلى صوت إلهي يقول :

« بتروكلوس ! ليس على يديك تفتح هذه المدينة الخالدة ! بل هي لن تفتح على أخيل العظيم الذي هو أقوى منك ، ومن عشرة من أمثالك ! عد من حيث جئت ، واحذر أن تكون آخرتك اليوم ، في هذا الميدان المضرج بدماء ضحاياك ! »

وتلفت بتروكلوس فرأى الهاتف هو إله الشمس ، أبوللو ، أبوللو بعينه ، رب طروادة العظيم ، واقفاً فوق برجها الباذخ يقلب قوسه فى يديه الجبارتين ، مرسلاً فى عساكر اليرميدون والجنود الميلانيين ، نظرات تقدح الشرر ، وتورى نيران الكيد والجبروت !

واقشعر جسم بتروكلوس ، وأيقن أن أبوللو هو الذى رفع جثمان ساربيدون من مكانه من المعمعة ، وأنه أيضاً أقبل ليلعب دوره ضد اليرميدون وضد الأغريق ، وضد بتروكلوس قبل كل شىء !!

ولكن بتروكلوس محارب ، وقلب المحارب العظيم لا يعرف الجبن ، ولا يتلجلج لقصف المنايا فى المعركة ، فكيف به يخفق فرقاً إذا رأى الآلهة نفسها تحارب فى صفوف الأعداء !

أقبل يا بتروكلوس وأقدم ، ولا يهولنك أبوللو ، وألف ألف أبوللو ، مادام العمر واحداً ، والساعة آتية ، ولن يفلت أحد مما قدر له !

* * *

وبهت الجمعان للقتلان حول جثمان ساربيدون حين رأوا إليه يرتفع فى الهواء ، ثم يتهادى إلى جهة ليسيا ، موطنه الذى يبكى عليه ، فعلموا أن السماء تعمل !

وأحس الليسيُّون هذا الفراغ الفزع الذى خلفه ملكهم المقتول فيهم ، فذهب رئيسهم المغوار ، جلوكوز ، نائب الملك وخير وجوه ليسيا ، إلى حيث وقف هكتور ينظر إلى المعمعة قريباً من البوابة الكبرى ، فوقف تلقاءه محطم القلب ، دامع العين ، موهون القوى ، وقال : « يقف هنا بطل أبطال طروادة العظيم ، ويدع أحلافه البواسل يجودون بأرواحهم من أجل اليوم ، ويسيلون نفوسهم على ظبى الرقاق البيض التى يرهفها فى وجوههم أعداؤكم ! ولأى شىء ! ؟ لأنكم استجرتم بنا فأجرناكم وأسرعنا إليكم تقتديكم بالمهج الغالية والدماء الزكية ! هكتور ! لقد قتل ساربيدون ، فهل علمت ! هل علمت هذه النفوس التى يمضها الأسى ، والعيون التى تقرحها الدموع ، ويعصف بها الدم ! ؟ فيم وقوفك هكذا ترمق الساحة وقد رأيت من فتك اليرميدون بنا ما رأيت . هل فكرت فى حماية مولانا الملك ، أو على الأقل صيانة جثمانه العزيز ؟ ! لقد نبهوا دروعه وسلاحه ، فأى عار يصمنا فى طويل الأحقاب والآباد ؟ يا لثأرنا ... يا لثأرنا ... ! »

ولم ينبس هكتور !

ولكنه شاهد اليرميدون يعيدون الكرة بعد الكرة على الطرواديين ، فينالون منهم ويمزقون صفوفهم ، وشاهد البطل الأغريق المشهور إيجيوس ، يصول بين الجيشين ويجول ، ويجندل الأبطال ويبيد لهاميم الرجال ، فأخذ هكتور حجراً كبيراً وانتهز فرّة من إيجيوس ، وقذف بالحجر فوق رأسه فشجه ، وبرز المخ ، وتدفق الدم ، وتردى البطل فوق الحدور حتى استقر فى بسيط الساحة !

واستشاط بتروكلوس غضباً ! ويود لو كان قريباً من هكتور فيضغط على عنقه ضغطة تذهب به الى الجحيم ! ولكنه لم يستطع الا أن يثأر للقتيل بمثل ماصنع هكتور ؛ فقد تناول جلموداً كبيراً ، وقذف به ستينلاس الهائل ، أشجع شجعان طروادة الأحياء ، فأطاح بجمجمته ، وهوى الجلمود على مفرش جواده فقتله ، بين عجب الطرواديين وشدة تحيرهم ! !

ولكن جلوكوز - رئيس الليسيين - يرى إلى ذلك فيتسخط ، وينقض على البطل الميلانى الكبير باثيسليز ، فيشكه برمحه شكة تذهب به ، وتتركه يتشحط فى دمه . وتستمر المعركة ...

* * *

أما أبوللو ! فينيظه من هكتور هذا الجمود الذى استولى عليه ، وذلك الموقف الجبان الذى يحول بينه وبين الميدان ، وفى الحق ، لقد كان هكتور ينظر الى شياطين اليرميدون ولا يصدق أنهم مقاتلة من البشر ، بل وقر فى قلبه أنهم زبانية من جحيم بلوتو سلطهم القادر على الطرواديين يسومونهم الخسف وسوء العذاب !

وتنكر أبوللو ؛ فبدا فى زى محارب فى عنفوان الشباب ، ثم أجرى فى عروقه من دماء بنى الموتى ، وغضّن قليلا من جبينه ، وسوى من ساعديه ، وتتر فوق عدته من ثرى المعمعة ، ولوّح وجهه بملامح (أسيوس) العظيم ، أخى هكيوبا ، وخال هكتور ؛ وسار قُدُما الى حيث وقف فتى طروادة المحبور بروع الساحة الهوجاء :

« هكتور ! فيم إحجامك عن لقاء الأعداء يا بنى ؟ هلم ، هلم ! فوَأرباب الأولمب لو كان لى شبابك وعنفوانك ، لصاولت هؤلاء اليرميدون الألداء ، ولأخليت منهم تلك الحومة التى ملأتك هلعاً ! أقدم يا هكتور ولا تحجم هكذا ! إلْق بتروكلوس فقد تصرعه ، وإنك لصارعه ، وإنك لماقد إكليلاً من المجد فوق رأسك لا يذبل أبد الدهر ، وحسبك أن أبوللو صاحبك وحاميك ومسدد خطاك ، ومضاعفٌ بتأييده ضرباتك ! هلم ، هلم ، وعش عزيزاً يا هكتور ، أو مت كريماً يا بنى ، بين طعن القنا وخفق البنود ! »

وانفتل أبوللو فانخرط فى صفوف المقاتلين ، وطفق يُصرّع أبطال الهيلانيين ليضرب المثل لهكتور ، وليشحذ من همته الخابية ، وليوقظ شبابه النائم

فلما رأى هكتور جلائل هـــذه الفعال التى أبداها خاله — وما هو بخاله — انكشفت عنه هذه الغمة التى غمرته ، وأمر سِيريونيس ، سائق عربته ، أن ينطلق به إلى الحومة . فانطلق السائق المسكين نحو بتروكلوس ، حتى إذا كان على مقربة من شباة رمحه ، ترك صاحبه وجهاً لوجه معه . وكان السائق من مذاوير أبطال طروادة ، فأخذ يناوش بتروكلوس هو الآخر ، فما كان من قائد اليرميدون العظيم إلا أن قذفه بحجر هشم رأسه ، وصدع فقاره ، وطار بروحه إلى هيدز

واقشعر هكتور من هول الضربة ، وعز عليه أن يودى سيريونيس وهو بين يدى مولاه ، فلا يجد له حامياً . ولـكن الطرواديين تكبكبوا حول القتيل ، يذودون الهيلانيين الذين كان كل همهم أن يفوزوا بعدته ، أثراً حربياً خالداً ! !

واشتد سيال القوم حول جثمان السائق ، وصخبت زوبعة القتال فوقه ، واشترك هكتور وبتروكلوس مع أجنادهما ؛ فكان جماعة يشدون القتيل من قدميه ، بينا جماعة أخرى تشده من الرأس ، وهم يعفرونه فيما بين هذا وذاك بالتراب ، ويلطخونه بالدم !

ووجد أبوللو فرصته !

أبوللو الخائن ! أبوللو سيد الشمس الذى لا يستحى ! أبوللو الإلـه الذى يفرق أن يلقى بتروكلوس وجهاً لوجه ، فيأتيه من الظهر ! كأجبن الجبناء ! !

يا للآلهة ! ومسكين يا بتروكلوس ! !

لقد تقدم أبوللو ، مستجمعاً كل قوته فى قبضة يمينه الجبارة فأهوى على قفا بتروكلوس بضربة خاتلة كضربات اللصوص ، حين يتسللون تحت أستار الليل ، فأطار صواب البطل ، وأوقع الخوذة الأخيلية الهائلة ، وغودر الرأس العظيم مكشوفاً فى متناول كل ظباة وكل سنان !

ولم يدع هكتور فرصته تمضى ، بل سرعان ما أبصر بتروكلوس يتلفت يرى صانعه ، حتى أرسل رمحه الرعديد الخائر ، إلى الرأس العارى ، فأقصده . . .

وسقط بتروكلوس المسكين . . . مضرجاً بدمه ! !

ووقف هكتور يتشدق ، ويفاخر تلك المفاخرة الكاذبة :

« بتروكلوس ! أرأيت ؟ لقد انتهيت ! ولقد طاحت آمالك وذهبت أمانيك فوق هذه الساحة أبديد ! بتروكلوس ! أكنت تحلم بأن تُفْتح طروادة عليك ، فتسوق بيض خدورها إماء بين يديك إلى بلادك ، وتُقَرّن فى الأصفاد أبطالها البهاليل ! ؟ أيها التاعس . لقد ترديت من عربة أخيل التى لم تكن يوماً أهلاً لها ، وبعد قليل تنوشك سباع الطير ، وتفادرك فوق ثرى طروادة صعيداً جرزاً ورفاتاً سحيقاً ! !

بتروكلوس ! يا أتعس قتيل فى هذه الساحة الحمراء !

كم كنت تحدث نفسك بأن لو كان هكتور ، هكتور الحلاحل ، قاتلك ، وصافح دمك ، هو الذى ينام تلك النومة الساعة بين يديك ! !

وكم كنت تمنى نفسك أن لو عدت بعدة هكتور وعتاده إلى مولاك ، إلى أخيل الذى أرسلك إلى الحومة ، ولم يجازف بنفسه فيها ، وهو يعلم أن أسدها الهصور لابد قاتله ، فافتدى نفسه بك ، وضحاك فى سبيل خلاصه ، من هـذه الصرعة التى زلزلتك !

بتروكلوس !

أهكذا قد غرر بك أخيل ، فأطلقك إلى حيث تلقى حتفك وتسبح فى دمك ، وتغص بآلامك ؛ وإنه ليسبح الآن فى شهواته ويقارف لذاته ، ولا يدرى مصيرك المحزن ، ولا يعرف ماحل بك من موتة زؤام ! ! . . . . . »

وكان بتروكلوس العظيم يجود بروحه ، ويسمع إلى هـذا الهذر ، ويبكى ! فلما انتهى هكتور تأوه القتيل آهة عميقة ، وقال :

« هكتور !

حق لك أن تفتخر الآن !

أما قبل هذه اللحظة ، فقد كنت تبحث عن قلبك الرعديد فلا تجده ، لأنه طاش من شدة ما عاينت من ضربات الميرميدون !

على أنك لو كنت رجلاً ، لآثرت أن تدفن وجهك فى الرغام ، دون أن تفتخر بنصر ليس لك فى أقله يدان !

لست أنت الذى رميت يا هكتور ، بل هو سيد الأولمب ، وولده أبوللو ، هما اللذان رميا ، وهما اللذان كتبا هـذا القضاء ، وأبرما هذا القدر !!

وإلا ، فوأرباب هيلاس ، لو صاولت عشرين كلباً مثلك ، لما أفلت منهم أحـد أبداً ؛ ولأرسلت أرواحهم الخبيثة تتردى فى نار جهنم !!

أجل ، هو الذى أعجلنى يا هكتور ، وأبوللو هو الذى فتك بى تلك الفتكة البكر ، أما أنت ، فلم تصنع شيئاً ، أكثر من أن رميت رمية الجبان !!

على أنى أقولها لك قولةً غير كاذبة

إنك ستشرب بالكأس التى شرب بتروكلوس ، ولن تبسم لك الدنيا أكثر مما فعلت ، فانتظر ، فسيأتيك عذاب يشقيك ، وسينتفض أخيل العظيم حين ينتهى إليه نبأ مصرعى ، فيهرع إلى هذه الساحة ، والويل لك من رمحه الظامئ إلى دمك ! » .

وكانت هذه المقالة قد أجهدته ، فسكت قليلاً ، ثم أغمض عينيه إغماضة متعبة ، وفتحهما فجأة ، ونظر إلى جنوده ، وقال :

« ميرميدون !

وداعاً ... سلامى ... إلى ... أخيل !! »

* * *

وفاض الروح الكبير ، وسكتت الساحة الحزينة كلها ... كأنها تبكى ... !

وكأنما هزت كلمات بتروكلوس فؤاد هكتور ، وكأنما خشع بطل طروادة لجلال الموت ، فصمت طويلاً ... وقال ، مخاطباً القتيل :

« بتروكلوس !

من يدرى إذا كان أخيل هو الذى يقتلنى ، أو كنت أنا الذى أقتل أخيل !

هذه آجال يا أخى ... فالسلام عليك !! »

* * *

ولم يتورع هكتور أن ينزع حربته من رأس البطل ، ولم يتورع كذلك أن يأمر فينزع رجاله عدة أخيل ...

تذكاراً حربياً !

وعتاداً مؤقتاً !

(لها بقية)

دريني خشبة

مجلس بلدى المنصورة

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب السعادة رئيس بلدية المنصورة لغاية ظهر يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٥ عن توريد ٦٠ صندوق صاج اسطوانى الشكل لوضع الزبالة به بالشوارع وتصحب العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من مجموع قيمتها والشروط والمواصفات والرسومات الخاصة بذلك تطلب رأساً من البلدية المذكورة مقابل دفع مبلغ خمسين مليما والعطاءات التى ترسل بطريق البريد وتصل متأخرة لا يلتفت إليها . وللبلدية الحق فى قبول أو رفض أى عطاء بدون ابداء الأسباب

ظهر حديثاً :

فى أصول الأدب

صفحات من الأدب الحى والآراء الجديدة

بقلم

احمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب

وثمنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد